الفصل الأول

الختان

موقف الطب من الختان

إن الذين يعظمون شعائر الله وحرماته أولئك هم الذين اصطفاهم الله عزوجل لطاعته وسط هذه الأعباء والإغراءات والصراعات التي تحوط بهم من كل جانب ومن يفعل ذلك هو من المجاهدين وأعظم الجهاد هو جهاد النفس .

فلقد شرع الله هذا الدين لما فيه صالح الفرد وصالح الأمة ، فليس الدين والعبادات مجرد قيود وأغلال وأحكام فرضت من الله على عباده ولكن الله أنزل الدين والشرائع والتعاليم ليتعامل بها الناس فيما بينهم ، فالحلال أحل لجميع الناس ، والحرام محرم على جميع الناس وهذا حفاظاً على حقوق الآخرين وحقوقنا أيضاً من هذا الفضل الرباني ؛ ولم تسن الشرائع أو العبادات إلاَّ بما فيها من مصلحة العباد وليس هناك أفضل مما فرض على الإنسان من الطهارة ؛ طهارة الجسد من الدنس والأوساخ حفاظاً على الصحة العامة ، وطهارة النفس من الآفات الشيطانية حتى يكون هذا المجتمع صالحًا في كل الأحوال وكل الأزمان ليعيش الفرد فيه حياة طيبة جيلاً بعد جيل إذا كان هناك تمسك بما جاء في كتاب الله وسنة النبيﷺ . وقد أوصى الله عزوجل في كتابه بالأخذ عن النبيﷺ بقوله تعالى :

﴿.....وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: الآية ٧]

ومن أجل ذلك أردنا أن نكتب في هذا الموضوع الذي أصبح فعله من الجرائم الإنسانية ، هذا في نظر التيارات الفكرية الجاهلة المعاصرة .

وللأسف أصبح البعض ينادي بما ينادون به من وقف [ختان الإناث] بل إن البعض ممن كنا نحسبهم قدوة ومثل أعلى بل أصبح صوتهم أعلى من أصوات خنازير الغرب ونسي أنه ليس أهلاً للحديث في هذا الأمر، وكان السبب في هذا تراجع رجال الدين إلى ما بعد الصف الأخير ليذكروا لنا رأي الدين والفقهاء والأئمة في هذا الموضوع ولا حديث لنا بعد أولي العلم والفضل في هذا المجال، ولكن علينا أن نؤكد أهمية ختان الإناث من الناحية الطبية، وذلك لأننا نريد أن نؤكد كما يعرف الجميع أن الغرب يريدون تصدير هذه الأفكار من أجل زيادة الشهوة لدى البنات مع هذا التبرج، الذي نراه في شوارعنا مع ارتفاع سن الزواج وزيادة شبه العنوسة فماذا بعد كل ذلك؟ إنهم يريدون لمجتمعنا أن تنتشر فيه الفواحش علانية بالخمر والزنا والعديد من القبائح التي ينكرها العقل والقلب والضمير ولا يرضاها أحد لابنته فكيف يرضاها الآخرون لبناتهم ؟

والختان سنة من سنن الفطرة، والسنة من الشعائر وإقامة الشعائر هو أفضل أنواع الطاعات لله عز وجل وذلك لقوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الحج: الآية ٣٢]

كما كان هذا الكتاب دعوة لله إلى كل أم وكل أب بتنفيذ شعائر الله وسنة النبي ﷺ عملاً بقول الله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤]

ولذا يجب علينا ألاَّ نتبع غير ديننا ، دين الحق وإلاَّ نلتفت إلى أنفسنا ولكن من المؤسف أن بعض الآباء والأمهات أصبح لديهم شك في أمر ختان البنات وأصبح البعض يسأل غيره : هل أختن ابنتي أو لا ؟

ما أكثر حزن العقلاء على ما نزل بالأمة حتى أصبح البعض لا يفرق بين الصدق والأكاذيب ، وأصبح هذا من الأمور والقضايا التي فتحنا باب النقاش فيها، وقد حسم الله فيها الجدال والكلام بأن جعلها من سنن الفطرة .

وأصبح الجهلاء صوتهم أعلى ، لما وجدوه من الأذن والأبواب المفتوحة التي تسمع لهم تحت شعار التنوير العلمي وثقافة الحضارات ولقاء الأجيال وغيرها من الشعارات الواهية ولكن كان هناك الكثيرون من عقلاء الأطباء المسلمون في بقاع الأرض قد جمعوا بين الأسباب الطبية والأوامر الدينية في أهمية ختان الإناث غير منصتين لهذا الضجيج الإعلامي والحملات الجاهلة التي يرددها البعض دون أن يقدر خطورة ما يقوم به من دور الببغاء ؛ ولذا أردنا أن نقدم رأي الطب من خلال ما قام به بعض الأطباء من الدراسات والأبحاث الطبية التي أكدت أهمية هذا الأمر بما فيه من الفقه والطهارة .

ولكن المقصد أن تتخلى الأمة عن قواعد دينها شيئًا فشيء الحجاب مرة والختان مرة والزكاة مرة وغير هذا مما يسعى إليه هؤلاء الغربيون من سلخ الدين عنا أو سلخنا نحن عن الدين .

وقد استند هؤلاء إلى الاستفادة من بعض أخطاء بعض الأطباء ممن ليس لديهم الخبرة أو الضمير في مجال ختان الإناث رغم أن ما كان من هذه الأخطاء لا تتعدى واحدًا ×١٠٠٠ مثل أي عملية جراحية .

كما أن بعض الأطباء يقومون بختان الإناث بطريقة خاطئة غير شرعية .

مما أخذ أعداءنا هذا الأمر حجة لمحاربة هذه السنة التي سنها الله لعباده.

رأي الطـــب :

قال تعالى :

﴿.....وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ.....﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٣]

وقال رسول الله ﷺ : [رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين][1] .

ذكرنا هذه الآية الكريمة وهذا الجانب من الحديث النبوي الشريف لنستأذن من حضراتكم في الحديث بصراحة وبوضوح . كما ذكره أساتذة الجامعات من الأطباء المسلمين المشهود لهم بالإيمان بالله ورسوله .

فلقد أصبح البعض يطالب بعدم ختان الذكور كما كانوا ينادون بالأمس بعدم ختان الإناث .

وقد حققوا نتائج في هذا المجال . ولكن هذا نداء إلى كل أب وكل أم احذروا هذه النداءات الفاسدة وعليكم بسنة النبي ﷺ وسنة أبيكم آدم وأولاده .

١- رواه البخاري ٢٧٦م١.

الدين والختان

الختان عند الإناث هو قطع أدنى جزء من جلدة في أعلى الفرج ، وهي ما يعرف [بالفلقة] عند الأنثى وكانت النساء تختتن على عهد النبيﷺ وكانت هناك سيدة من نساء الأنصار متخصصة في هذا الأمر، وهي الصحابية الجليلة [أم عطية الأنصارية].

وقد بلغ النبي أمرها فقال النبيﷺ له: [لا تنهكي ؛ فإنه أحظى للمرأة وأحب إلى البعل] [1]. وحديث النبيﷺ على موجبات الغسل وذكر منها .

[وإذا التقى الختانان] [2]

- وقال الإمام الشافعي : الختان واجب للذكر والأنثى .
- وقال الإمام أحمد بن حنبل: الختان سنة للذكر والأنثى .
- وقال الإمام مالك : الختان واجب على الذكر ومكرمة للأنثى .

وقال ابن عباس في قوله تعالى :

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ..... ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٤]

وذكر منهن الختان .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ: [الفطرة خمس .الاختتان والإستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الأبط] [3].

١- رواه الألباني ٩٢٢.

٢- رواه أحمد.

٣- رواه أحمد١٦١م٦.

بل إن بعض علماء الغرب العقلاء ممن قاموا بعمل دراسات على بعض السيدات التي أختتنت أنهن عفيفات غير راغبات أو متطلعات إلى الزنا والشهوة الحيوانية على غير النساء التي لم تختتن وخصوصاً في بلادهم في الغرب ، بل وصل الأمر أن بعض غير المسلمين أصبحن يختن البنات فكيف يعمل أعداء الدين به ونتركه نحن وفيه من الخير والفضل .

ويستند البعض ممن ينادون إلى ترك الختان إلى بعض الأخطاء ممن يقوم أو من تقوم بعملية الختان بطريقة خاطئة وهذا ليس عيب في الختان نفسه .

موانع الختان :

١- وجود بعض التشوهات في الأعضاء التناسلية مثل عدم وجود القلفة .

٢- الحالة النفسية للطفل أو الطفلة بسبب خوفهم الشديد مما يستدعى تأجيله.

الختان في السنة :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الفطرة خمس . الختان .الاستحداد وقص الشارب . وتقليم الأظافر. ونتف الأبط [١] .

وعن أم المؤمنين عائشة قالت عن رسول الله في موجبات الغسل : [إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل][٢]

١- رواه البخاري ٥٤٤١.

٢- رواه مسلم ٥٣٦.

وعنها قالت: [إذا جاوز الختان الختان ، وجب الغسل فعلته أنا ورسول الله ﷺ واغتسلنا][1]

وعنها قالت : [كان رسول الله إذا التقى الختانان اغتسل][2]

وقد ذكر الإمام الشافعي: [أنه يستحب تمرير الموس على من ولد مختن][3]

وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : [الختان سنة للرجال مكرمة للنساء].

وقد اختتن الأنبياء لقول أبي هريرة قال . قال رسول الله ﷺ :[اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة]

ومن يترك الختان يجوز لولي الأمر محاكمته ولم نسمع عن الجدال في ختان الإناث إلاَّ في عصرنا .

هذا لما فتحنا الأبواب لأعداء هذا الدين للحديث عن ديننا .

الختان عند أهل الفقه :

يحاول أعداء هذا الدين أن يتخذوا من هذا الدين ، دين الإسلام بعض الأساليب والحيل لمحاربة أهل الإيمان بأخذ ما لا يتوافق مع هواهم حجة على الإسلام وأهله . ولكن فما لهؤلاء وللإسلام ، وهم لم يؤمنوا ولم يتبعوا ما أرسل الله به إليهم الرسل من الشرائع والتعاليم ، وهم رغم كل هذا يدركون كل الإدراك بصدق وصحة هذا الدين، دين الإسلام ولكنهم برعوا في تشتيت مكر بعض ضعفاء الأميين في بعض الأمور ومنها الختان. لأنهم وجدوا أن هذا الدين يدعو إلى الفقه والطهارة

١- رواه أحمد ٢٤١٢٤.

٢- رواه أحمد٢٣٧٦٧.

٣- العنف ضد المرأة ١٧.

والمحافظة على حقوق الآخرين ، وقد بذل هؤلاء الشياطين كل الحيل والألاعيب لمحاربة الأمة ، ولكنهم لم يجدوا أسهل من هذه الطريقة وهي النساء وذلك لأن الختان يجعل المرأة تتحكم في شهوتها الجنسية ، وهذا الأمر الذي شرعه الله للمسلمين لهو الكنز الذي فيه العصمة واتخذا هؤلاء الشياطين من الختان العديد من ألوان المحارية منها:

١- الطعن في هذا الدين .

٢- ترك ختان الإناث لزيادة شهوة النساء الجنسية مما سيكون سبب في الفواحش في المجتمع المسلم .

٣- التشويش على هذا الدين.

وكما ذكرنا الختان هو قطع الجلدة التي تشبه عرف الديك عند الفتيات . والجلدة التي تغطي الحشفة عند الرجال بحيث لا يبقى من هذه الجلدة شيء .

رأي الفقهاء في الختان :

ذكر ابن تيمية وتلميذه بن الجوزية في كتاب مجموع الفتاوى: [إن ختان الذكر والأنثى جائز].

وقال الإمام النووي في كتابه (المجموع ٣٦٧م١): [أن الختان واجب على الرجال والنساء عندنا].

وقال الإمام البهوتي الحنبلي في كتابه :(كشف القناع – صـ٨٠م١) [يجب الختان على الذكر والأنثى].

وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري صـ ٣٤٠م١٠): [إن الختان من خصال الفطرة الخمس].

وذكر ابن جزي في القوانين الفقهية ١٢٩م١ قال : [أما الختان فللرجل سنة مؤكدة كسائر سنن الفطرة] .

فقال صاحب كتاب (الدرر المختار – ٧٥١م٦) [الختان في الأصل سنة كما جاء في الخبر ولو اجتمع أهل البلد على تركه جاز للإمام محاربتهم ولا يجوز ترك الختان إلاَّ لعذر].

وهذا رسول الله ﷺ يقول لرجل: [ألق عنك شعر الكفر واختتن][1]

وقيل إن سيدنا إبراهيم قد ابتلاه بخمس في الجسد وهي سنن الفطرة التي سبق وأن ذكرناها وقيل إن قول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٣]

المقصود به إتباع سنة الخليل إبراهيم عليه السلام ومنها الختان .

وقد ورد في كتاب المغني لابن قدامه أن رسول الله ﷺ قال : [لا تقبل صلاة رجل لم يختتن][2]

وقال الإمام مالك: لم تقبل شهادته [من لم يختتن لم تقبل شهادته ولم تجز إمامته][3].

وقال بن عطاء : [لو أسلم الكبير لم يكتمل إسلامه حتى يختتن][4]

١- رواه أبو داود.

٢- المغني ٦٣م١.

٣- نيل الأوطار ١٣٩م١.

٤- فتح الباري ٣٤٠م١٠.

ولم يكن الإسلام هو الذي استحدث الختان عند الإناث ، فقد كان موجودًا عند العرب قبل بعثة النبيﷺ بدليل حديث ختان سيدنا إبراهيم عليه السلام . وبدليل أن الختان من سنن الفطرة . وبدليل أن النبي لما بلغه خبر الختان أقره وقال للخاتنة وهي [أم عطية الأنصارية]:

[لا تنهكي فإنه أحظى للمرأة وأحب إلى الرجل].

وليس هناك أدل على فوائد الختان الطبية مما نشر في جريدة الإنقاذ الوطني السودانية الصادرة في ٢ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ الموافق ١٥ من نوفمبر من عام ١٩٩٤م في عددها رقم ١٧٣٢ أن الطبيبة الأمريكية [أي – بي - لوري] ذكرت في أحد كتبها عن فوائد الختان: [ضرورة ختان البنات الأمريكيات].

وذكر الفوائد الطبية والصحية والإنسانية لهذا الختان عند الأنثى بالذات ما ذكرنا أن عدم الختان يؤدي إلى رفع الشهوة الجنسية عند البنات مما يؤدي إلى رفع حالة الشذوذ الجنسي عند هؤلاء البنات مما يسبب ميلاد عدد كبير من الأطفال اللقطاء وما أكثرهم في المجتمع الغير المسلم .

كما ذكرت أن بلاد الغرب أكثر انتشاراً بمرض السرطان بسبب عدم الختان عند الرجال والإناث .

وقد ذكرت هذه الطبيبة وهي ليست الأولى التي تتحدث عن فوائد الختان ومنها:

١- النظافة والطهارة .

٢- تقليل الشهوة والشذوذ ، وعدم الانشغال بها.

٣- أن المتزوجات بدون ختان تفرط في الشهوة مما يسبب لها الد من الأضرار.

٤- تطبيق شرعة وسنن الفطرة.

٥- الفقه والعصمة من الوقوع في الفواحش .

سن الزواج في بعض البلاد

يعيب أهل الكتاب أن الإسلام يتيح الزواج المبكر ، وهم يسعون إلى ذلك لتحقيق بعض النوايا الفاسدة وهي ترك الختان ورفع سن الزواج لإفساد المجتمع بالفواحش بين الشباب والبنات ، وليس لكلامهم عندنا قيمة فأمرنا كله يجب أن يكون من هذا الدين وإلى هذا الدين :

١- فقد تزوج النبي أم المؤمنين عائشة وهي بنت تسع سنوات وظلت عنده ستة سنوات إلى أن دخل بها .

٢- وزوج النبي ابنته فاطمة الزهراء لسيدنا علي بن أبي طالب وهي صغيرة .

٣- وتزوج سيدنا عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت سيدنا علي بن أبي طالب وهي صغيرة.

وقد يسعى هؤلاء اليهود إلى رفع سن الزواج في العديد من البلدان وهذا أمر خاطئ فسن الزواج هو اكتمال البلوغ عند الذكر والأنثى .

سن الزواج في البلاد الغربية

١- الأرجنتين ، الولد ١٤ سنة ، البنت ١٢ سنة .

٢- ولاية فلوريدا ، الولد ١٤ سنة ، البنت ١٢ سنة .

٣- ولاية كنورادر، الولد ٢١ سنة ، البنت ١٢ سنة .

٤- يوغسلافيا ، الولد ١٥ سنة ، البنت ١٣ سنة .

٥- إيطاليا ، الولد ١٦ سنة ، البنت ١٤ سنة .

٦- اليونان ،الولد ١٧ سنة ، البنت ١٤ سنة.

٧- بلجيكا ، الولد ١٨ سنة ، البنت ١٥ سنة .

ورغم هذا السن المنخفض في الدول الأوروبية إلاَّ أنهم ينادون برفع سن الزواج في البلاد الإسلامية رغم أنه في مصر الولد ٢٠ سنة والبنت ١٦ سنة أعلى من بلادهم بكثير.

الإسلام والمرأة

لم تكن المرأة أقل من الرجل في الإسلام لقد ساوى هذا الدين بكل ما جاء فيه من النصوص والتعاليم .

ولكي نعرف ما أعطاه الإسلام للمرأة علينا أن نعرض في اختصار بعض العصور والحضارات السابقة ونظرتها للمرأة .

١ - الإغريق :

المرأة عند الإغريق كانت تعد ذات قيمة . إذا كانت تلد أما إذا كانت لا تلد فهي أقل من الحيوان عندهم ؛ لأنها مثل الأرض الور . لذلك ورد عن الإغريق أن الزوجة التي عندها خصوبة وكانت تلد كان البعض يستعيرها حتى تلد له ولذا بعد أن تضع ترد إلى زوجها أو أهلها.

٢ - اليهود :

لم يورث اليهود البنت . وكان من حق أبيها أن يبيعها ويستفيد بثمنها لأنها شر يجب إبعاده عن المنزل .

٣ - الهند :

تنظر الحضارة الهندية إلى المرأة أن الأفاعي والحيات والسموم أفضل من النساء . وتحرم الحضارة الهندية خلو الرجل بالمرأة ولو قدر نضج بيضة واعتبارها زانية إذا خلت مع رجل هذا القدر.

٤- الرومان :[1]

المرأة عند الرومان ليست إلاَّ سلعة تباع وتشترى من أبيها لمن يدفع اكثر وابنها مجرد خادمة تعيش في عزلة ؛ لا تضحك ، لا تمشي ، لا تفكر ، لا تفعل شيئًا إلاَّ بعد إذن زوجها أو وليها .

ويقول أحد المفكرين الرومان وهو [كراي سوستلم] :

[إن المرأة هي شر لابد منه].

٥- الفرنسيون :

تقول الحضارة الفرنسية أن المرأة مخلوق خلق لخدمة الإنسان فقط.

٦- العرب القدماء :

المرأة عند العرب الأوائل كانت تمثل عبئًا كبيرًا وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

[سورة النحل: الآية٥٨: ٥٩]

وذلك لأن حياة العرب كانت بدوية يعرف عنها الترحال وعدم الاستقرار ونظراً لوجود العنصرية والقبلية وكثرة الحروب وحاجة القبيلة إلى الرجل لحماية القبيلة كان العرب يقتلون البنات بل يدفنهن أحياء وذلك لقول الله تعالى :

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير: الآية ٨: ٩]

ولذلك كانت المرأة لا حق لها في الزواج وكان هناك زواج البدل والشغار والمتعة وكانت بعض القبائل تورث الابن زوجة الأب .

١- الحقوق في الإسلام ٢٦٦.

المرأة في الإسلام :

لقد جاء الإسلام يكرم المرأة ويحفظ لها العديد من الحقوق التي سلبت منها في الحضارات السابقة ، ومن هذه الحقوق . أخذ رأيها عند الزواج ، وفرض الصداق لها لقوله تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ..... ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ٤]

وشرع الله عز وجل حق رعاية زوجها لها من الطعام والشراب والملبس، وحق الحياة الكريمة ، وأن يطعمها مما يأكل ويسقيها مما يشرب ويلبسها مما يلبس أي تعيش في نفس المستوى الذي يعيش هو عليه ، كما جعل الإسلام لها نصيبًا في الميراث إذا مات عنها زوجها في حياتها ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ٧]

ولقوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ..... ﴿١١﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١١]

وقد أمر الله عز وجل بالمودة بين كل من الرجل والمرأة وذلك لقوله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الروم: الآية ٢١]

ومن مواقف تكريم المرأة كأم :

أليست المرأة هي الأم التي أمر الله عزوجل الابن بطاعتها في كل الأحوال إلاَّ الشرك بالله عزوجل في قوله تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا .....﴿٢٣﴾﴾

[سورة الإسراء: الآية ٢٣]

وهذا هو الصحابي الجليل أبو هريرة يقول : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول له : يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ فقال رسول الله : أمك .

قال الرجل :ثم من ؟

قال رسول الله ﷺ : أمك .

قال الرجل : ثم من يا رسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أمك .

فقال الرجل : ثم من يا رسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أبوك .

فهذا هو سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص يقول :كنت عند رسول الله ﷺ :

إذا جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبواي يبكيان .

فقال رسول الله ﷺ : [ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال رسول الله ﷺ: [رضى الرب من رضا الوالدين ، وسخط الرب من سخط الوالدين].

كما أن الإسلام اهتم برعاية الأم ، فقد اهتم برعاية العمة والخالة وكل ذي رحم من رحم الأم أو الأب أو الزوجة أو كل ذي قرابة .

فعن عبد الله بن عمر : قال جاء رجل إلى رسول اللهﷺ :فقال: يا رسول إني أصبت ذنباً . فقال رسول اللهﷺ :هل لك من أم ؟ فقال الرجل: لا .

فقال رسول اللهﷺ :هل لك من خالة ؟ فقال الرجل: نعم .

فقال رسول اللهﷺ :[أذهب فبرها].

من وصايا النبي للمرأة

لقد جاءت السنة النبوية بالعديد من وصايا النبي ﷺ للنساء ، وهي كل ما جاء به من وصايا للرجال؛لأن هذا الدين قد ساوى بينهما ، في العبادات والحقوق والواجبات ، ولكن الله ورسوله قد خص النساء ببعض الأمور الخاصة بهن في الزواج والعدة والحيض والنفاس والحمل وغيرها من حقوق الزوج والأولاد عليها .

لذا يجب على المرأة الحنان والعطف والمودة لما خلقها الله عليه من هذه الصفات ، لما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الروم: الآية ٢١]

وهذه هي وصية النبي للرجال ليحفظ حق النساء عليهن ، فقد جلس ثلاثة من الرجال يتحدثون ، ويريد كل واحد منهم أن يسابق أخاه في العبادة إلى الله . فقال أحدهم : أنا أقوم الليل ولا أنام أبداً .

وقال الثاني : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج .

وقال الثالث : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً .

ولما بلغ ذلك النبي ﷺ قال : [أأنتم الذين قلتم كذا وكذا . أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني].

ومن وصايا النبي ﷺ للنساء ؛ البعد كل البعد عن طلب الطلاق .

وذلك لقول النبي ﷺ : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة [1].

لذا أمر الله بالصلح بين الطرفين بأن يحضر من ينوب عن كل طرف أو الطرف نفسه وذلك لتقريب وجهات النظر أو لتوضيح بعض الأمور، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٥]

كما حذر النبي ﷺ من إرضاء أولاد الغير إلا لضرورة وحاجة ملحة . وإذا اضطر الأمر إلى ذلك أخبر الأولاد أو أهل الرضيع بعدد الرضعات ؛ لأن الرضاع يحرم الزواج من أولاد التي أرضعت ، لأن جسمه نضج من جسمها وأصبحوا إخوة وذلك لقول النبي ﷺ : [التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات متفرقات].

أما المرأة أو المرأتان فليس فيهما تحريم لقول النبي ﷺ :

[لا تحرم المصة أو المصتين].[2]

ومن وصايا النبي للمرأة : استكمال العدة إذا توفي الزوج أو الطلاق أو الخُلع .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ..... ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٣٤]

١- رواه أحمد والترمذي.

٢- رواه البخاري.

أما عن وصية النبي في حداد المرأة على غير زوجها وإن كان أباها فهو ثلاثة أيام فقط لقول النبيﷺ :عن أم سلمة قالت : قال رسول اللهﷺ : [لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر وتؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام إلاَّ على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرة أيام].[1]

وتقول أم المؤمنين أم سلمة عن النبيﷺ في أمر المتوفى عنها زوجها .

[المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا المشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل].

ومن حقوق الزوج على الزوجة أن تحفظ ماله وتربي أولاده أحسن تربية .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة النساء: الآية ٣٤]

ولذا يجب على الرجال التأني في اختيار الزوجة ، وذلك لقول النبيﷺ :

[تنكح المرأة لأربع، لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك].[2]

١- رواه البخاري.

٢- روا الترمذي.

وعن فضل طاعة الزوجة لزوجها يقول رسول الله ﷺ :

[المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها فلتدخل جنة ربها من أي الأبواب تشاء].

وعلى المرأة العفة بالحياء والحجاب وعدم النظر إلى ما حرم الله عليه النظر، ولا تتبرج فتعطي الفرصة لبعض الرجال ينظرون إليها ، وقد تكون هذه النظرات سبب في استحواذ الشيطان عليهم والوقوع في الفواحش .

ولذلك يقول رسول الله ﷺ:

[من ملأ عينيه من حرام ملأ الله يوم القيامة عينيه من النار].

ومن وصايا النبي للنساء ؛ صلة الأرحام ، وإعانة الزوج على ذلك ، وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

[سورة الرعد: الآية ٢١]

لأن قطيعة الرحم هي فساد في الأرض وذلك لقوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾

[سورة محمد: الآية ٢٢]

وعن فضل بر الوالدين وصلة الأرحام يقول معاذ بن جبل قال :رسول الله ﷺ.

[من أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك][1].

وعن عمرو بن العاص : يقول رسول الله ﷺ : [ليس الواصل بالمكافيء ولكن

١- ، اه الطبراني.

الواصل من الذي إذا قطعت رحمه وصلها][1].

ومن وصايا النبي للنساء : أن تفرج المرأة عن زوجها إذا نزل به كرب أو ضيف أو شدة وذلك لقول أبي هريرة : قال رسول اللهﷺ: [ما من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن بشر مسلماً في الدنيا بشره الله في الآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه].

ومن صفات النبي للنساء ، الحياء فالحياء من الإيمان، وهو مطلوب من الرجال والنساء ، ولكن في المرأة يزيدها جمالاً على جمال وحسن على حسن ، وذلك لقول النبيﷺ :

[الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها كلمة التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان].

ومن وصايا الله ورسوله ، غض البصر ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .....﴿٣١﴾﴾

[سورة النور: الآية ٣١]

وذلك لأن النظر إلى المرأة الأجنبية سهم من سهام الشيطان .

ومن وصايا الله ورسوله للنساء ، لأنهن كثيرات الكلام فيما يفيد وما لا يفيد وكثيراً ما يغتبن الناس ، ولذلك حذرهن الله من هذا بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة النور: الآية ٤]

١- رواه البخاري.

ومن وصايا النبي اجتناب السبع الموبقات لقول أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات][1].

ومن وصايا النبي للنساء ، عدم تأخير الزواج للشباب أو البنات خشية الفتنة إذا توافرت القدرة على الزواج ، وذلك لقول عبد الله بن عباس :

قال رسول الله ﷺ : [يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء][2].

وقد حذر النبي من المغالاة في الزواج وذلك لقوله ﷺ :

[إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير][3].

وعلى كل من الزوج والزوجة الإخلاص في الحياة الزوجية وحسن العشرة وذلك لقول الله تعالى :

﴿.....وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ .....﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء: الآية ١٩]

ومن حق الزوج على زوجته ما جاء في حديث النبي ﷺ بقوله : [لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلاَّ بإذنه ، وما أنفقت من نفقة من غير أمره ، فإنه يؤدي إليه شطرها][4].

١- رواه البخاري ومسلم.

٢- رواه الجماعة .

٣- رواه الترمذي.

٤- رواه البخاري ومسلم.

ومن وصايا النبي للنساء أن تلبي طلب زوجها إذا دعاها إلى الجماع ما لم يكن هناك عذر شرعي لقوله : [إذا دعى الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور][1].

ومن أهم الوصايا أن تحتفظ المرأة بأنوثتها التي خلقها الله عليها وألا تتشبه بالرجال وذلك لقوله ﷺ :

[لأن المرأة المسترجلة التي تتشبه بالرجال تضر بنفسها وبالمجتمع ضرراً بالغاً، فهي تدعو إلى الفساد والإغلال] لقول ابن عباس:

[لعن الله المتشبهين بالرجال من النساء والمتشبهات من النساء بالرجال][2].

١- رواه الترمذي وبن حبان.

٢- رواه البخاري.